طعام أهل الكتاب

السـؤال : هل كل طعام أهل الكتاب حل لنا ؟

الجـواب : إن الإنسان لا يصح أن ينظر إلى الأمر الطيب إلا من زاوية أنه مُحلَّل من اللَّه .

والحق سبحانه يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة : ٥] .

فهل كل ما يأكله أهل الكتاب حل لنا ؟

بالطبع لا . . فإن بعضهم يأكل الخنزير ، بل الحلال من طعام أهل الكتاب هو الطعام الذين يكون من جنس ما حلل اللَّه لنا ، ولا يستقيم أن يستنكف الإنسان من أنه طعام أهل كتاب ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل من الإنسان الذى ارتبط بالسماء ارتباطًا حقيقيا كالمسلمين ، وهم - أى : أهل الكتاب - قد ارتبطوا بالسماء وإن اختلف تصورهم للَّه ، يريد سبحانه أن يكون بينهم نوع من الاتصال لأنهم ارتبطوا جميعًا بالسماء ، ويجب أن يعاملوا على قدر ما دخلهم من إيمان باتصال الأرض بالسماء .

إياك أن تقول بمقاطعة طعام أهل الكتاب . لا ، ولكن انظر إلى طعامهم فإن كان من جنس الطعام المحلل فى الإسلام فهو حلال[١] .

---

(١) قال ابن جرير الطبري فى التفسير : يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ اليوم أحل لكم أيها المؤمنون الحلال من الذبائح والمطاعم ، من دون الخبائث منها .

قوله : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ وذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهم الذين أوتوا التوراة والإنجيل ، وأنزل عليهم ، فدانوا بهما أو بأحدهما ﴿ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ يقول : حلال لكم أكله دون ذبائح سائر أهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب وعبدة الأوثان والأصنام ، فإن من لم يكن منهم ممن أقر بتوحيد اللَّه عز ذكره ودان دين أهل الكتاب ، فحرام عليكم ذبائحهم . =

openkanal.com

= ثم اختلف فيمن عنى الله عز ذكره بقوله : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : عنى الله بذلك ذبيحة كل كتابي ممن أنزل عليه التوراة والإنجيل ، أو ممن دخل فى ملتهم فدان دينهم وحرم ما حرموا وحلل ما حللوا منهم ومن غيرهم من سائر أجناس الأمم .

وروى ابن جرير : عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام : ١٢١] فنسخ واستثنى من ذلك ، فقال : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ .

وقال الطبرى : الصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية . وذلك مما حكم الله على المؤمنين أكله بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ بمعزل ، لأن الله إنما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به للطواغيت ، وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها ، يذبحون الذبائح بأديانهم كما ذبح المسلم بدينه ، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل ، أو بعبادة شيء سوى الله ، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسم .

obeikandi.com

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

السؤال : ما الفرق بين بياض الوجوه وسوادها فى الدنيا والآخرة ؟

الجواب : يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

يجب أن نعلم أن الاسوداد والابيضاض هما من آثار اختلاف البيئات فى الدنيا ، فالشخص الأسود يزيد اللّه فى تكوينه عن الشخص الأبيض بما يناسب البيئة ؛ لأن المادة الملوّنة للبشرة فى جسده موجودة بقوة ؛ لتعطيه اللون المناسب لمعايشة ظروف البيئة ، أما أبيض البشرة فلا يملك جسده القدر الكافي من المادة الملونة ، لأن بيئته لا تحتاج مثل هذه المادة الملونة .

إذن . . فالسواد فى الدنيا لصالح المُسْوَدّ ، أما فى هذه الآية ، فهي تتحدث عما سوف نراه فى الآخرة حيث يكون السواد والبياض مختلفين ، تمامًا كما تتبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات .

وكذلك يتبدل أمر السواد والبياض ، إنه لن يكون سوادًا أو بياضًا من أجل البيئات ؛ ولذلك ستتعجب يوم القيامة ؛ لأنك قد ترى إنسانًا كان أسود فى الدنيا ، وتجده أبيض فى الآخرة ، وتجد إنسانًا آخر كان لونه أبيض فى الدنيا ثم صار أسود فى الآخرة .

فلا يظن ظان أن الإنسان فى الدنيا مكروه من اللّه ، لا ، إن اللّه يعطى كل واحد ما يناسبه ، بدليل أن اللّه قد أمده باللون الذى يقوّيه على البيئة التى يحيا فيها ، وفى مجالنا البشرى ، نحن نعطى « المضل » لأى إنسان مسافر إلى مكان ما ؛ حتى نحميه من شر مرض فى المكان الذى يذهب إليه ، كذلك خَلْقُ اللّه فى الأرض فقد أعطى سبحانه لكل إنسان فى تكوينه المناعة

التى تحفظه ، فاللَّه لا يكره السواد . . إنه سبحانه جعله حماية للإنسان من البيئة .

وهذه المسألة ستتبدل يوم القيامة كما تتبدل الأرض غير الأرض ، وتبيضُّ الوجوه المؤمنة ، وتسوّدُّ الوجوه الكافرة .

أو أن البياض والسواد كليهما ، أمر اعتبارى ، بدليل أنك ترى واحدًا أبيض ولكن وجهه عليه غبرة ترهقه قترة[١] ، وترى واحدًا آخر أسود اللون ، ولكن نور اليقين يملأ وجهه ، وبريق الصلاح يشع منه ، وأنت لا تقدر أن تمنع عينيك من أن تديم النظر إليه ، ولذلك قال الحق سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة] .

أى : أن ما فى داخل النفس إنما يتضح على قالب الإنسان ؛ وتظهره ملامحه ، فقد يكون الأسود مضيء الوجه بالبشر والإشراق والتجلّى بالجاذبية الآسرة ، وقد يكون الإنسان أبيض الوجه لكنه مظلم الروح .

وهكذا نفهم أن اسوداد بشرة إنسان فى الدنيا ، إنما هو لمساعدة الإنسان على التواؤم مع البيئة التى يعيش فيها ، ومثال ذلك : سواد العين وبياضها ، هل يستطيع أحد أن يقول : إن بياض العين أحسن من سوادها ؟ أو العكس ؟ لا ؛ لأن كل شىء معدٌّ لمهمته .

ومثال آخر : عندما يأتى عامل البناء ليثنى عود الحديد المستقيم ؛ ويلويه ، فهل يقال : إن هذا الإنسان قد عوج الحديد ؟ لا ؛ إنه يريد أن يشكّل عود الحديد ليكون صالحًا لمهمة معينة .

وكذلك الاسوداد أو الابيضاض فى الدنيا ، إنما أراده اللَّه ليتناسب مع ظروف الحياة فى البيئة .

أما فى الآخرة فالدنيا قد زالت وفنيت ، والأرض لن تكون هي الأرض والسماء لن تكون هي السماء ؛ فالحق سبحانه يقول : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

---

(١) القترة : هي الغبار . وقال الاصفهاني فى مفردات ألفاظ القرآن : وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب .

ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(١) [إبراهيم : ٤٨] .

---

(١) قال القرطبي في التفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكافرين مسودة .
ويقال : إن ذلك عند قراءة الكتاب ، إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه حسناته استبشر وابيض وجهه ، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه فرأى فيه سيئاته اسود وجهه . ويقال : إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ابيض وجهه ، وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه .
ويقال: ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] .
ويقال : إذا كان يوم القيامة يؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده ، فإذا انتهوا إليه حزنوا واسودت وجوههم ، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون ؛ فيقول الله تعالى للمؤمنين : « من ربكم » ؟ فيقولون : ربنا الله عز وجل . فيقول لهم : « أتعرفونه إذا رأيتموه » . فيقولون : سبحانه ! إذا اعترف عرفناه . فيرونه كما شاء الله . فيخر المؤمنون سجدا لله تعالى ، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضا، ويبقى المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرون على السجود فيحزنون وتسود وجوههم ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ . ويجوز « تِبْيَضّ وتِسْوَدّ » بكسر التائين ؛ لأنك تقول : ابيضت ، فتكسر التاء كما تكسر الألف ، وهي لغة تميم وبها قرأ يحيى بن وثاب . وقرأ الزهري « يوم تبياض وتسواد » ويجوز كسر التاء أيضا، ويجوز « يوم يبيض وجوه » بالياء على تذكير الجمع ، ويجوز « أجوه » مثل « أقتت » . وابيضاض الوجوه إشراقها بالنعيم . واسودادها هو ما يرهقها من العذاب الأليم .
واختلفوا في التعيين ؛ فقال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة .
قلت : وقول ابن عباس هذا رواه مالك بن سليمان الهروي أخو غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال : « يعني تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة » ذكره أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب . وقال فيه : منكر من حديث مالك .
قال عطاء : تبيض وجوه المهاجرين والأنصار ، وتسود وجوه بني قريظة والنضير . وقال أبي بن كعب : الذين اسودت وجوههم هم الكفار ، وقيل لهم : أكفرتم بعد إيمانكم لإقراركم حين أخرجتم من ظهر آدم كالذر . هذا اختيار الطبرى . الحسن : الآية في المنافقين . قتادة هي في المرتدين . عكرمة : هم قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم مصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث عليه السلام كفروا به ؛ فذلك قوله : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ وهو اختيار الزجاج . مالك بن أنس : هي في أهل الأهواء . أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم : هي في الحرورية . وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال : « هي في القدرية » . =

= روى الترمذى عن أبى غالب قال : رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على باب دمشق ، فقال أبو أمامة : كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه - ثم قرأ - ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إلى آخر الآية . قلت لأبى أمامة : أنت سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ قال : لو لم أسمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا - حتى عد سبعا - ما حدثتكموه [١] . قال : هذا حديث حسن . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « إنى فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » [٢] . قال أبو حازم : فسمعنى النعمان بن أبى عياش فقال : أهكذا سمعت من سهل بن سعد ؟ فقلت : نعم .

فقال : أشهد على أبى سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : « فأقول إنهم منى ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى » .

وعن أبى هريرة أنه كان يحدث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابى فيُجْلَون عن الحوض فأقول يا رب أصحابى فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » [٣] .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة . فمن بدل أو غير أو ابتدع فى دين اللّه مالا يرضاه اللّه ولم يأذن به اللّه فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودى الوجوه ، وأشدهم طردا وإبعادا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ؛ فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون ، وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون للكبائر المستخفون بالمعاصى ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ؛ كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية ، والخبر كما بينا ، ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد ليس فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان . وقد قال ابن القاسم : وقد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء . وكان يقول : تمام الإخلاص تجنب المعاصى .

وقال ابن جرير الطبري فى التفسير : وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن أبى بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذى يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذى أقروا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وذلك أن اللّه جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما سوداء وجوهه ، والآخر بيضاء وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن =

(١) رواه الترمذى [٣٠٠٠] وقال الألبانى : حسن صحيح .
(٢) رواه البخارى [٧٠٥٠، ٧٠٥١] .
(٣) رواه البخارى [٦٥٨٥] .

= جميع الكفار داخلون فى فريق من سود وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون فى فريق من بيض وجهه ، فلا وجه إذا لقول قائل عنى بقوله :

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ بعض الكفار دون بعض ، وقد عم اللّه جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم فى ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوما أنها المرادة بذلك .

فتأويل الآية إذن : أولئك لهم عذاب عظيم فى يوم تبيض وجوه قوم ، وتسود وجوه آخرين ؛ فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال : أجحدتم توحيد اللّه وعهده وميثاقه الذى واثقتموه عليه ، بأن لا تشركوا به شيئا ، وتخلصوا له العبادة بعد إيمانكم ، يعنى : بعد تصديقكم به ، ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ يقول : بما كنتم تجحدون فى الدنيا ما كان اللّه قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق .

وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد اللّه وميثاقه ، فلم يبدل دينه ، ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربه بالألوهية ، وأنه لا إله غيره ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٠٧] يقول : فهم فى رحمة اللّه ، يعنى فى جنته ونعيمها ، وما أعد اللّه لأهلها فيها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٧] أى : باقون فيها أبدا بغير نهاية ولا غاية .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبرهيم : ٤٨] أى : اذكر يوم تبدل الأرض ، فتكون متعلقة بما قبله .

وقيل : هو صفة لقول : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

واختلف فى كيفية تبديل الأرض ، فقال كثير من الناس : إن تبدل الأرض عبارة عن تغير صفاتها ، وتسوية آكامها ، ونسف جبالها ، ومد أرضها ؛ ورواه ابن مسعود رضى اللّه عنه ؛ خرجه ابن ماجه فى سننه .

وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب ، قال حدثنى ابن عباس قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد فى سعتها كذا وكذا ؛ وذكر الحديث . وروى مرفوعا من حديث أبى هريرة أن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : « تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر اللّه الخلق زجرة فإذا هم فى الثانية فى مثل مواضعهم من الأولى من كان فى بطنها ففى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها » ذكره الغزنوى .

وتبديل السماء تكوير شمسها وقمرها ، وتناثر نجومها ؛ قال ابن عباس .

وقيل : اختلاف أحوالها ، فمرة كالمهل ومرة كالدهان ؛ حكاه ابن الأنبارى .

وقد ذكرنا هذا الباب مبينا فى كتاب « التذكرة » .

وذكرنا ما للعلماء فى ذلك ، وأن الصحيح إزالة هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم .

روى مسلم [٣١٥/ ٣٤] عن ثوبان مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : كنت قائما=

= عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك ؛ وذكر الحديث ، وفيه : فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « في الظلمة دون الجسر » . وذكر الحديث .

وروى عن عائشة [٢٧٩١/٢٩] قالت : سئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن قوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » . رواه ابن ماجه بإسناد مسلم سواء ، ورواه الترمذى [٣١٢١] عن عائشة وأنها هي السائلة ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

فهذه الأحاديث تنص على أن السماوات والأرض تبدل وتزال ، ويخلق اللّه أرضا أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر .

وفي صحيح مسلم [٢٧٩٠/٢٨] عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقي ليس فيها علم لأحد » .

وقال جابر : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول اللّه عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قال : تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الأنبياء : ٨] .

وقال ابن مسعود : إنه تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة .

وقال ابن عباس : بأرض من فضة بيضاء .

وقال علي رضى اللّه عنه: تبدل الأرض يومئ من فضة والسماء من ذهب وهذا تبديل للعين ، وحسبك . ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] أى : من قبورهم .

obeikandl.com

الأجر .. والثمن

السؤال : ما الفرق بين الأجر والثمن ؟

الجواب : هناك فرق بين الأجر والثمن ؛ فالثمن مقابل العين ، أما الأجر فهو مقابل المنفعة ، أنا اشتريت هذه ، فهذا يعنى أنى دفعت ثمنًا ، لكن إن استأجرت شيئًا فهو لصاحبه ولكن أخذته لأنتفع به فقط .

وجزاء الحق لمن يُقتل فى سبيل اللَّه أهو أجر أم ثمن ؟ ، ونلتفت هنا إلى أن الحق قد بيَّن : أنا لم أثمن مَن قُتِل ، بل نظرت لعمله ، وجهاده واستشهاده وأعطيته ﴿ أَجْرًا عَظِيما ﴾ .

ويقول الحق سبحانه : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

والعدل يتحقق بين البشر بأن كلا منهم يموت ، ولكن الفضل أن يعجل اللَّه انقضاء الحياة فى الدنيا لمن يُحبهم بالاستشهاد وينقلهم إلى رضوانه ونعيمه ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الأخوة الإيمانية قد بقيت فيهم وليست كخاصية الأحياء بل أنقى وأبقى من خاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضى أن يُحب المؤمن لأخيه ما يُحب لنفسه ، والشهداء فى حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدل على أن الحياة التى يحياها الشهداء هي حياة نامية فيها رزق ومواجيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضلٌ من اللَّه تعالى قد فضَّله به ؛ ولذلك فالشهيد يستبشر بالذى لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ويقول : يا ليتهم يأتون ليروا ما نراه .

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم ﴾

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ ﴾ من البُشرى ، والبُشرى هي الخبر السَّار ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم ﴾ ويلحقوا أى : يأتوا بعدهم[(١)] .

(١) قال القرطبي فى التفسير : لما بين اللّٰه تعالى أن ما جرى يوم أُحد كان امتحانا يميز المنافق من الصادق ، بين أن من لم ينهزم فقتل له الكرامة والحياة عنده .
والآية فى شهداء أحد .
وقيل: نزلت فى شهداء بئر معونة .
وقيل: بل هي عامة فى جميع الشهداء .
وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللّٰه أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال اللّٰه سبحانه أنا أبلغهم عنكم » – قال – فأنزل اللّٰه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا .. ﴾[(١)] [آل عمران : ١٦٩] إلى آخر الآيات .
وروى بقي بن مخلد عن جابر قال : لقيني رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : « يا جابر ما لي أراك منكسا مهتما » ؟ قلت : يا رسول اللّٰه ، استشهد أبي وترك عيالا وعليه دين ؛ فقال : « ألا أبشرك بما لقي اللّٰه عز وجل به أباك » ؟ قلت : بلى يا رسول اللّٰه . قال : « إن اللّٰه أحيا أباك وكلمه كفاحا وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب فقال له يا عبدي تمن أعطك قال يا رب فردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب تبارك وتعالى إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائى » فأنزل اللّٰه عز وجل ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾[(٢)] الآية . أخرجه ابن ماجه فى سننه ، والترمذى فى جامعه وقال : هذا حديث حسن غريب .
وروى وكيع عن سالم بن الأفطس عن سعيد بن جبير ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ قال : لما أصيب حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير ورأوا ما رزقوا من الخير قالوا: ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كى يزدادوا فى الجهاد رغبة؛ فقال اللّٰه تعالى أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل اللّٰه تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ – إلى قوله – ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
وقال أبو الضحى : نزلت هذه الآية فى أهل أحد خاصة . والحديث الأول يقتضي صحة هذا القول .
=

(١) رواه أبو داود [٢٥٢٠] وقال الألباني : حسن ، والبيهقى فى الكبرى [٩/ ١٦٣/ ١٨٣٠١] ، والحاكم فى المستدرك [٢/ ٩٧] .
(٢) رواه الترمذى [٣٠١٠] ، وابن ماجه [١٩٠] وقال الألباني : حسن .

= وقال بعضهم : نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ؛ ثمانية من الأنصار ، وستة من المهاجرين .
وقيل : نزلت فى شهداء بئر معونة ، وقصتهم مشهورة ذكرها محمد بن إسحاق وغيره .
وقال آخرون : إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة وسرور تحسروا وقالوا : نحن فى النعمة والسرور ، وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا فى القبور . فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم .
قلت : وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب المجموع فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء فى الجنة يرزقون ، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم فى التراب ، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين ، وفضلوا بالرزق فى الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم .
وقد اختلف العلماء فى هذا المعنى : فالذي عليه المعظم هو ما ذكرناه ، وأن حياة الشهداء محققة . ثم منهم من يقول : ترد إليهم الأرواح فى قبورهم فينعمون ، كما يحيا الكفار فى قبورهم فيعذبون . وقال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة ، أي يجدون ريحها وليسوا فيها . وصار قوم إلى أن هذا مجاز ، والمعنى أنهم فى حكم الله مستحقون للتنعم فى الجنة . وهو كما يقال : ما مات فلان ، أي ذكره حَى ؛ كما قيل :

موت التقي حياة لا فناء لها قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

فالمعنى أنهم يرزقون الثناء الجميل . وقال آخرون : أرواحهم فى أجواف طير خضر وأنهم يرزقون فى الجنة ويأكلون ويتنعمون . وهذا هو الصحيح من الأقوال ؛ لأن ما صح به النقل فهو الواقع . وحديث ابن عباس [١] نص يرفع الخلاف .
وكذلك حديث ابن مسعود[٢] خرجه مسلم . وقد أتينا على هذا المعنى مبينا فى كتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » . والحمد لله . وقد ذكرنا هناك كم الشهداء ، وأنهم مختلفو الحال . وأما من تأول فى الشهداء أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده القرآن والسنة ؛ فإن قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ دليل على حياتهم ، وأنهم يرزقون ولا يرزق إلا حَى . وقد قيل : إنه يكتب لهم فى كل سنة ثواب غزوة ؛ ويشركون فى ثواب كل جهاد كان بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأنهم سنوا أمر الجهاد . نظيرة قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا ﴾ [المائدة : ٣٢] . على ما يأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقيل : لأن أرواحهم تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ، كأرواح الأحياء المؤمنين الذين باتوا على وضوء . وقيل : لأن الشهيد لا يبلى فى القبر ولا تأكله الأرض . وقد ذكرنا هذا المعنى فى « التذكرة » وأن الأرض لا تأكل الأنبياء والشهداء والعلماء والمؤذنين المحتسبين وحملة القرآن . =

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه مسلم [١٨٨٧/ ١٢١] .

= يعني بذلك تعالى ذكره : ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء فى الدنيا على مناهجهم ، من جهاد أعداء اللّه مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم، صاروا من كرامة اللّه إلى مثل الذى صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ، ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يعني بذلك : لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب اللّه ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ، ونكد عيشها ، للخفض الذى صاروا إليه والدعة والزلفة ، ونصب أن لا بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

obeikandl.com

الذكور أفضل أم الإناث ؟

السؤال : هل التذكير أفضل من التأنيث ؟

الجواب : كلمة « ذرية » تطلق على الواحد وعلى الاثنين ، وعلى الثلاثة أو أكثر . والذرية هنا بالنسبة لمريم عليها السلام هي عيسى عليه السلام ، وتنتهى المسألة . وبعد دعاء امرأة عمران : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] . يجيء قول الحق سبحانه : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

وكلمة « آدم » حينما تتكلم بها تجدها - فى اللغة - مذكرة ، والمذكر يقابله المؤنث . وقد خلق الحق الأعلى سبحانه الذكورة والأنوثة ؛ لأنه من تزاوجهما سيخرج النسل .

إذن . . فكان لابد من التمييز بين النوعين للجنس الواحد . فالذكر والأنثى ، هما بنو آدم ، ومنهما ينشأ التكاثر ، لكن العجيب أن اللّه تعالى حين سمى آدم ونطقناه اسمًا مذكرًا وسمى « حواء » ونطقناه اسمًا مؤنثًا ، وجعل سبحانه الاسم الأصيل الذى وُجِدَ منه الخلق هو « نفس » ، لقد قال الحق سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

لقد سمى الحق سبحانه آدم بكلمة « نفس » ، وهى مؤنثة ، إذن . . فليس معنى التأنيث أنه أقل من معنى التذكير ، ولكن « التذكير » هو فقط علامة لتضع الأشياء فى مسمَّياتها الحقيقية وكذلك التأنيث . إن الحق سبحانه يطلق على كل إنسان منا : ﴿ نَّفْسٍ ﴾ وهى : كلمة مؤنثة ، وحينما تكلم

الحق سبحانه كلامًا آخر عن الخلق قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وكلمة : « ناس » تعنى : مجموع الإنسان . وهكذا نعرف أن كلمة : « إنسان » تُطلق مرة على المذكر ، ومرة أخرى على المؤنث .

إذن . . فالحق سبحانه قد أورده مرة لفظًا مذكرًا ، ومرة أخرى أُطْلِق لفظًا مؤنثًا وذلك حتى لا نقول : إن المذكر أفضل وأحسن من المؤنث ، ولكن ذلك وسيلة للتفاهم فقط ، وبذلك يبين لنا الحق سبحانه أنه قد وضع الأسماء لمسمياتها لنتعارف بها : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ومعنى « لنتعارف » أى : أن يكون لكل منا اسمٌ يُعرَف به عند الآخرين . وفى حياتنا العادية -ولله المثل الأعلى- نجد رجلاً عنده أولاد كثيرون ، لذلك يُطلق على كل ابن اسمًا ليعرفه المجتمع به ، والعجيب فى هذه الآية الكريمة : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أننا نجد كلمة ﴿ شُعُوبًا ﴾ مذكرة وكلمة « قبائل » مؤنثة . إذن : فلا تمايز بالأحسن ، ولكن الكلمات هنا مسميات للتعارف . والحق الأعلى سبحانه يقول :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر]

إذن . . فما وضع النساء اللاتى آمنَّ ؟ إنهن يدخلن ضمن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولماذا أدخل الله المؤنث فى المذكر ؟ لأن المذكر هو الأصل ، والمؤنث جاء منه فرعًا . إذن : فالمؤنث هو الذى يدخل مع المذكر فى الأمور المشتركة فى الجنس .

ويقول الحق سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

وهذا يعنى أن « المؤنث » عليه أن يدخل فى تكليف العبودية لله .

والمعنى العام يحدد أن المأمور بالعبادة هو الإنسان كجنس .

obeikandl.com

وبنوعيه : الذكر والأنثى . وفى الأمر الخاص بالمرأة ، يحدد اللّه تعالى المرأة بذاتيتها . فالحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ .

لماذا ؟ إن المسألة هنا تشمل النوعين من الجنس الواحد : الرجل والمرأة ، زوج وزوجة ، فمثلاً نجد زوجًا يريد تطليق زوجته ، فيأتى الحق سبحانه بتفصيل يوضح ذلك . وإذا كان هناك أمر خاص بالمرأة ، فالحق سبحانه وتعالى يحدده ، فها هو ذا قوله الحكيم : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١) [الأحزاب : ٣٢] .

---

(١) قال اللّه تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

قال القرطبي فى التفسير : قوله تعالى : ﴿ أَنِّى ﴾ أى : بأنى . وقرأ عيسى بن عمر : « إنى » بكسر الهمزة ، أي فقال : إنى . وروى الحاكم أبو عبدالله فى صحيحه عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول اللّه ، ألا أسمع اللّه ذكر النساء فى الهجرة بشىء ؟

فأنزل اللّه تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ (١) الآية . وأخرجه الترمذى .

ودخلت ﴿ مِن ﴾ للتأكيد ؛ لأن قبلها حرف نفى . وقال الكوفيون : هي للتفسير ولا يجوز حذفها ؛ لأنها دخلت لمعنى لا يصلح الكلام إلا به ، وإنما تحذف إذا كان تأكيدا للجحد . ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ابتداء وخبر ، أي دينكم واحد .

وقيل : بعضكم من بعض فى الثواب والأحكام والنصرة وشبه ذلك .

وقال الضحاك : رجالكم شكل نسائكم فى الطاعة ، ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة ؛ نظيرها قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ . ويقال : فلان منى ، أى : على مذهبي وخلقى .

وقال ابن جرير فى التفسير : وأدخلت ﴿ مِن ﴾ فى قوله : ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ على الترجمة والتفسير عن قوله : ﴿ مِّنكُم ﴾ ، بمعنى : لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور =

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك [٢/ ٣٢٩] ، والترمذى [٣٠٢٣] وقال الألباني : صحيح والطبرانى فى الكبير [٢٣/ ٢٩٤/ ٦٥١] .

= والإناث وليست ﴿ مِّن ﴾ هذه بالتي يجوز إسقاطها وحذفها من الكلام فى الجحد، لأنها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام إلا به .
وزعم بعض نحويي البصرة أنها دخلت فى هذا الموضع ، كما تدخل فى قولهم : « قد كان من حديث » قال : و ﴿ مِّن ﴾ ههنا أحسن ، لأن النفي قد دخل فى قوله : ﴿ لَآ أُضِيعُ ﴾ .
وأنكر ذلك بعض نحويي الكوفة وقال : لا تدخل ﴿ مِّن ﴾ وتخرج إلا فى موضع الجحد ؛ وقال : قوله : ﴿ لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم ﴾ لم يدركه الجحد ، لأنك لا تقول : لا أضرب غلام رجل فى الدار ولا فى البيت فيدخل ، ولا لأنه لم ينله الجحد، ولكن ﴿ مِّن ﴾ مفسرة .
وقال المباركفوري فى تحفة الأحوذى : يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ يعني فى الدين والنصرة والموالاة ، وقيل كلكم من آدم وحواء ، وقيل من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتى ، وقيل إن الرجال والنساء فى الطاعة على شكل واحد .

obeikandl.com

صداق الزوجة .. وأريحية الفضل

السؤال : **ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء : ٤]**

الجواب : لقد عَرَّف الحق سبحانه الحقوق أولاً بمخاطبة الزوج أو ولي الأمر فى أن مهر الزوجة لها لأنه أجر البضع ، ولكنه سبحانه فتح باب أريحية الفضل فإن تناولته الزوجة فهذا أمر آخر ، وهذا أدعى أن يؤصل العلاقة الزوجية وأن يؤدم بينهما ، والمراد هنا هو طيب النفس ، وإياك أن تأخذ شيئًا من مهر الزوجة التى تحت ولايتك بسبب الحياء ، فالمهم أن يكون الأمر عن طيب نفس ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[(١)] .

---

(١) قال القرطبي فى التفسير : قوله تعالى : ﴿ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ منصوب على الحال من الهاء فى « كلوه » وقيل : نعت لمصدر محذوف ، أي أكلا هنيئا بطيب الأنفس . هنأه الطعام والشراب يهنوه ، وما كان هنيئا ؛ ولقد هنؤ ، والمصدر الهنء . وكل ما لم يأت بمشقة ولا عناء فهو هنيء . وهنيء اسم فاعل من هنؤ كظريف من ظرف . وهنئ يهنأ فهو هنيء على فعل كزمن . وهنأني الطعام ومرأني على الإتباع ؛ فإذا لم يذكر « هنأنى » قلت : أمرأني الطعام بالألف ، أي انهضم .

قال أبو على : وهذا كما جاء فى الحديث « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . فقلبوا الواو من « موزورات » ألفا إتباعا للفظ مأجورات .

وقال أبو العباس عن ابن الأعرابى : يقال هنيء وهنأني ومرأني وأمرأني ولا يقال مرئنى ؛ حكاه الهروى . وحكى القشيري أنه يقال : هنئني ومرئني بالكسر يهنأني ويمرأنى ، وهو قليل .

وقيل : ﴿ هَنِيئًا ﴾ لا إثم فيه ، و ﴿ مَّرِيئًا ﴾ لا داء فيه . قال كثير :

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت ودخل رجل على علقمة وهو يأكل شيئا وهبته امرأته من مهرها فقال له : كل من الهنيء المريء . وقيل : الهنيء الطيب المساغ الذى لا ينغصه شيء ، والمريء المحمود العاقبة ، التام الهضم الذى لا يضر ولا يؤذى . يقول : لا تخافون فى الدنيا به مطالبة ، ولا فى الآخرة تبعة . يدل عليه ما روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا =

والهنيء هو الشيء المأكول وتستسيغه حين يدخل فمك ، لكن قد تأكل شيئًا هنيئًا فى اللذة وفى المضغ وفى الأكل ولكنه يورث متاعب صحية . إنه هنيء ، لكنه غير مريء ، والمقصود هو أن يكون طيب الطعم وليس له عواقب صحية رديئة ، وهو يختلف عن الطعام الهنيء غير المريء الذى يأكله الإنسان فيطلب بعده العلاج .

إذن . . فكل أكل يكون هنيئًا ليس من الضروري أن يكون مريئًا ، وعلينا أن نلاحظ فى الأكل أن يكون هنيئًا مريئًا .

والإمام على بن أبي طالب رضى اللّه تعالى عنه جاء له رجل يشتكي وجعًا ، والإمام عليٌّ - كما نعرف - وهبه اللّه تعالى مقدرة على إبداء الرأي والفتوى .

لم يكن الإمام عليٌّ طبيبًا . . لكن الرجل كان يطلب علاجًا من فهم الإمام عليٌّ وإشراقاته .

قال الإمام عليٌّ للرجل : خذ من صداق امرأتك درهمين واشتر بهما عسلاً ، وأذب العسل فى ماء مطر نازل لساعته - أى : قريب عهد باللّه - واشربه فإني سمعت اللّه يقول فى الماء ينزل من السماء : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق : ٩] .

= ﴿ نَكُلُوهُ ﴾ فقال : « إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ، ولا يؤاخذكم اللّه تعالى به فى الآخرة » .

وروي عن علي بن أبي طالب رضى اللّه عنه قال: إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته درهما من صداقها ثم ليشتر به عسلا فليشربه بماء السماء ؛ فيجمع اللّه عز وجل له الهنيء والمريء والماء المبارك . والله أعلم .

obeikandl.com

من آمن باللَّه
عليه أن يسمع له ويطيع

السؤال : لماذا ينادى اللَّه على المؤمنين بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ ؟

الجواب : ساعة ينادى الحق سبحانه عباده الذين آمنوا به يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ فمعناها : يا من آمنتم بى بمحض اختياركم ، وآمنتم بى إلهًا له كل صفات العلم والقدرة والحكمة والقيومية ، ما دمتم قد آمنتم بهذا الإله فاسمعوا من الإله الأحكام التى يأمركم بها .

إذن . . فهو لم يناد غير مؤمن وإنما نادى من آمن باختياره وبترجيح عقله[1] .

---

(١) قال ابن جرير الطبري فى تأويل قول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، اتقوا اللَّه وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده ، وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية اللَّه وطاعته ، تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة . يعنى مع من صدق اللَّه الإيمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قولهم فعلهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء اللَّه فى الدنيا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

وإنما قلنا ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأي وجوه الكون كان معهم إن لم يكن عاملا عملهم ، وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام أن يقال : اتقوا اللَّه وكونوا مع الصادقين .

ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بأن قال : =

obeikandl.com

= معناه : وكونوا مع أبي بكر وعمر ، أو مع النبى صلى اللّه عليه وسلم والمهاجرين رحمة اللّه عليهم .

وقال فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ .

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا اللّه ورسوله اذكروا اللّه بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا ، فلا تخلو أبدانكم من ذكره فى حال من أحوال طاقتكم ذلك .

وهكذا فكلها نداءات من الرحمن الرحيم إلى عباده المؤمنين بأن يفعلوا ما أمرهم به وينتهوا عما نهاهم عنه .

obeikandl.com

الفرق بين .. الظلم والكفر

السـؤال : معنى قول اللَّه تعالى : ﴿ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾

الجـواب : يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [النساء] .

والحديث هنا يبدأ عن الكفر والظلم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾ والكفر هو : ستر وجود اللَّه الخالق سبحانه ، والظلم معناه : أنهم عاشوا بمنهج بشرى لا يؤدى لهم متاعًا ولا سعادة فى حياتهم الدنيا ، وبذلك يكونون قد ظلموا أنفسهم . ومن بعد ذلك يقودهم هذا المنهج إلى عذاب الآخرة .

إذن .. والذى كفر ستر وجود اللَّه وحرم نفسه بستر الوجود الأعلى من المنهج الذى يأتى به اللَّه . إنه بذلك قد ضل ضلالاً بعيدًا . واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ .

وفى آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] .

إذن .. الذى يأخذ بهوى نفسه وبمنهج البشر فإن له معيشة ضنكًا ضيقة شديدة . ولا يظن ظان أن الذى يأخذ ويتناول الأمور بهواه قد أخذ انطلاقًا بلا حدود وراحة لا نهاية لها ، لا ؛ لأن الذى يفعل ذلك قد يرتاح مرة لكنه يقابل مصاعب وشدائد جمة ويعيش فيها ، ولا ينفك عنه الهم والغم بعد ذلك ، وهكذا يكون قد ظلم نفسه .

وقد يقول قائل : لقد ظلموا أنفسهم ، ومعنى ذلك أنه لابد من وجود ظالم ومظلوم . فمن هو الظالم ومن هو المظلوم ؟

كل واحد منهم ظالم ، وكل واحد منهم مظلوم ؛ لأن الإنسان مركب من ملكات متعددة ، ملكة شهوات تريد أن تنطلق إلى الشهوات ، وملكة قيم تريد أن يحفظ الإنسان نفسه ويسير على صراط القيم المستقيم[١] .

(١) قال ابن جرير الطبري في التفسير : يعني بذلك جل ثناؤه : إن الذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكفروا بالله بجحود ذلك وظلموا بمقامهم على الكفر ، على علم منهم بظلمهم عباد الله ، وحسدا للعرب ، وبغيا على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ يعني : لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقوبتهم عليها ، ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها .

ويقول : ولم يكن الله تعالى ذكره ليهدي هؤلاء الذين كفروا وظلموا ، الذين وصفنا صفتهم ، فيوفقهم لطريق من الطرق التي ينالون بها ثواب الله ، ويصلون بلزومهم إياه إلى الجنة ، ولكنه يخذلهم عن ذلك ، حتى يسلكوا طريق جهنم . ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ وإنما كنى بذكر الطريق عن الدين ؛ وإنما معنى الكلام : لم يكن الله ليوفقهم للإسلام ، ولكنه يخذلهم عنه إلى طريق جهنم ، وهو الكفر ، يعني : حتى يكفروا بالله ورسله ، فيدخلوا جهنم خالدين فيها أبدا ، يقول : مقيمين فيها أبدا . ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ يقول : وكان تخليد هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم في جهنم على الله يسيرا ، لأنه لا يقدر من أراد ذلك به على الامتناع منه ، وليس له أحد يمنعه منه ، ولا يستصعب عليه ما أراد فعله به من ذلك ، وكان ذلك على الله يسيرا ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره .

فضل اللَّه تعالى ورحمته

السؤال : ما معنى فضل اللَّه ورحمته ؟

الجواب : سبحانه لا يكتفي بجزاء صاحب الحسنة بحسنة ، بل يزيد سبحانه فى الفضل فيعطى جزاء الحسنة عشر أمثالها وإلى سبعمائة ضعف[١] .

ولا يقارن الفضل من اللَّه بالفضل من البشر ؛ فالبشر يمكن أن يتراجعوا فى الفضل ، أما اللَّه تعالى فلا رجوع عنده عن الفضل .

وهو سبحانه القائل : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٢] [يونس : ٥٨] .

---

(١) روى البخارى [٤١] عن أبي سعيد الخدري رضى اللَّه تعالى عنه : أنه سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : إذا أسلم العبد فحسن إسلامه ، يكفر اللَّه عنه كل سيئة كان زلفها ، وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز اللَّه عنها .

وروى البخارى [١٩٧٦] ، ومسلم [١١٥٩/ ١٨١] عن عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه تعالى عنهما قال : أخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أني أقول : والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت. فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمى ، قال : فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر، وقم ونم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر .

قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : فصم يوما وأفطر يومين . قلت إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام . فقلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، فقال النبى صلى اللَّه عليه وسلم : لا أفضل من ذلك .

زاد مسلم قال عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه تعالى عنهما : لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، أحب إلي من أهلي ومالى .

(٢) روى ابن جرير الطبري فى التفسير [١٣٦٩٦] : عن أبي سعيد الخدري رضى اللَّه تعالى=

= عنه ، فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ قال : بفضل اللّه القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله .

وفى تفسير القرطبى : قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضى اللّه تعالى عنهم : فضل اللّه القرآن ، ورحمته الإسلام .

وعنهما أيضا : فضل اللّه القرآن ، ورحمته أن جعلكم من أهله .

وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة : فضل اللّه الإيمان، ورحمته القرآن ؛ على العكس من القول الأول . وقيل : غير هذا .

﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة . والعرب تأتى « بذلك » للواحد والاثنين والجمع .

وروى عن النبى صلى اللّه عليه وسلم أنه قرأ « فبذلك فلتفرحوا »[1] بالتاء ؛ وهى قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما ؛ وفى الحديث « لتأخذوا مصافكم » . والفرح لذة فى القلب بإدراك المحبوب . وقد ذم الفرح فى مواضع ؛ كقوله : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود : ١٠] ولكنه مطلق . فإذا قيد الفرح لم يكن ذما ؛ لقوله : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ .

وههنا قال تبارك وتعالى : ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ أي بالقرآن والإسلام فليفرحوا ؛ فقيد . قال هارون : وفى حرف أبى ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ . قال النحاس : سبيل الأمر أن يكون باللام ليكون معه حرف جازم كما أن مع النهى حرفا ؛ إلا أنهم يحذفون من الأمر للمخاطب استغناء بمخاطبته ، وربما جاؤوا به على الأصل ؛ منه ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ .

﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يعنى فى الدنيا . وقراءة العامة بالياء فى الفعلين ؛ وروى عن ابن عامر أنه قرأ : ﴿ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ بالياء « تجمعون » بالتاء خطابا للكافرين .

وروى عن الحسن أنه قرأ بالتاء فى الأول ؛ و ﴿ يَجْمَعُونَ ﴾ بالياء على العكس . وروى أبان عن أنس أن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : من هداه اللّه للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب اللّه الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه ثم تلا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2] .

وفى الدر المنثور للسيوطى : أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب رضى اللّه تعالى عنه فى الآية قال : إذا عملت خيرا حمدت اللّه عليه فأفرح فهو خير مما يجمعون من الدنيا .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما خير ﴿ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ قال : من الأموال والحرث والأنعام . =

(١) رواه أحمد فى المسند [٥/ ١٢٢] عن أبى بن كعب رضى اللّه عنه وقال الأرناؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن فى المتابعات والشواهد من أجل أجلح ـ وهو ابن عبد اللّه ابن حُجيَّة الكندى ـ ولكنه قد توبع .

(٢) رواه أبو القاسم بن بشر فى أماليه عن أنس رضى اللّه تعالى عنه .

= وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن أيفع الكلاعي رضى الله تعالى عنه قال : لما قدم خراج العراق إلى عمر رضى الله عنه ، خرج عمر رضى الله تعالى عنه ومولى له ، فجعل يعد الإبل فإذا هو أكثر من ذلك ، فجعل عمر رضى الله تعالى عنه يقول : الحمد لله . وجعل مولاه يقول : هذا - والله - من فضل الله ورحمته. فقال عمر رضى الله عنه . كذبت ليس هذا الذى يقول : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١] .

(١) سبق تخريجه .

obeikandl.com